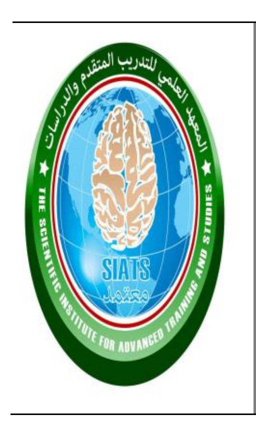


SIATS Journals

Journal of manuscripts & libraries Specialized Research

(JMLSR)

Journal home page: http: //www.siats.co.uk



مجلَّة المخطوطات والمكتبات للأبحاث التَّخصصيَّة

المجلد2 ، العدد2، أيار، مايو 2018م.

ISSN 2550-1887

لمحة عـن المعالم التاريخية بمدينة ندرومة العتيقة.

الدكتور: بن زغادي محمد

قسم علم الآثار/ جامعة تلمسان

benzghadi13@yahoo.fr

1439 هـ 2018م



ARTICLE INFO
Article history:
Received 11/2/2018
Reeived in revised form 10/3/2018
Accepted 11/4/2018
Available online 15/5/2018
Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The historical monuments are a very accurate visual record of the ancient ancestors created in the field of construction and reconstruction, which is devoid of objectivity and objectivity, which made it provide a true certificate of the level of their preparation, Because she was the daughter of her environment, she was influenced by the nature of the city of Nedroma, Where all its buildings were built of different character, with dust, loose stones, wood and other materials brought from the neighboring areas of the old city, It was carved into the cities of the Islamic Maghreb, built by the sultans according to Islamic jurisprudence rules, , Where Al-Murabiti Mosque in Ndrumah took over its position and carried out the rest of the civil installations, mainly the military, represented by the wall, which is the external belt of the city against the invaders.



الملخص

تعتبر المعالم التاريخية سجلاً بصرياً بالغ الدِّقة عمَّا أبدعه الأسلاف قديماً في مجال البناء والتعمير فهي تخلو من الذاتية وتتسم بالموضوعية ما جعلها تقدم شهادة صادقة عن مستوى تحضرهم،ولأنها إبنة بيئتها فقد تأثرت بما جادت به الطبيعة في مدينة ندرومة من مواد بناء،حيث بُنيت جميع مبانيها على اختلاف طابعها بالتراب المدكوك والحجارة الغير مشذبة والخشب وغيرها من المواد التي جلبت من النواحي المجاورة للمدينة العتيقة،وقد نحت بذلك نحو حواضر المغرب الإسلامي التي شيدَّها السلاطين وفق قواعد فقه العمران الإسلامي،إذ تبوأ الجامع المرابطي في مدينة ندرومة مركزها ولفته باقي المنشآت المدنية المتمثلة أساساً ثم العسكرية المتمثلة في السور الذي يعتبر بمثابة الحزام الخارجي للمدينة ضدَّ الغزاة.



تمهيد:

مدينة ندرومة من المدن العتيقة الزاخرة بتراث إسلامي أصيل،لا يزال البعض منه باقيا للعيان رغم نوائب الدّهر،وبُعْد الفترة الزمنية التي شهدت ميلاده أول مرّة،اجتمع لهذه المدينة عوامل مكنتها من تبوء مكانة مرموقة بين حواضر المغرب الإسلامي،جاء في مقدمتها مكانها الاستراتيجي الذي يعتبر حصنا طبيعيا يوفر الأمن،إضافة إلى ذلك تميز بوفرة الماء والتربة الجيدة المعطاءة فقد ساهمت سهولها الغنية في تلبية حاجيات سكانها وهو ما أشار إليه حسن بن محمد الوزان في حديثه عن ندرومة قائلاً:"...السهول القريبة من الساحل منتجة جدا لخصوبتها..."( )،شجّعت المعطيات السالفة الذكر اختيارها لأن تكون حاضرة إسلامية،فقد كانت ثاني أهم الحواضر بالدولة الزيانية بعد تلمسان العاصمة الأمر الذي جعلها تكتسب معالم أثرية متنوعة دينية ومدنية وعسكرية محاطة بسور خارجي،أنظر الصو رقم (01)،أما المواقع التاريخية فلا توجد بالمدينة،لذلك ركّزنا حديثنا على المعالم الأثرية فقط.

1- نبذة عن المعالم الأثرية الدينية الإسلامية بمدينة ندرومة العتيقة:

لقد حظي هذا النوع من العمارة بتقدير واهتمام السلاطين بجميع دول العالم الإسلامي لحرصهم الشديد على إعلاء كلمة الله،والبقاء على المنهج الذي أتت به سنّة سيدنا محمد صلى الله عليه،لقد امتد إلى مدينة ندرومة كباقي حواضر المغرب مع مجيئ الفتح الإسلامي على يد عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية،وعليه بُنيت بها معالم دينية جسدت ذلك النقل والتواصل الحضاري.( )

1-1 المساجد:

تضمن النسيج المعماري لمدينة ندرومة تخطيطاً ذي أبعاد دينية منبثقة عن التشريع الإسلامي الذي تجسّد في جميع المدن قديماً،فقد تميز بوجود مسجد جامع لتأدية صلاة الجمعة والعيدين بمركزها مكوناً بذلك النواة التي تلتف من حوله بقية عمائر مدينة ندرومة،كالمساجد التي توزعت على باقي أحيائها لتأدية الصلوات الخمس والمساكن والدروب.



أ-الجامع الكبير:

اعتمدت مدينة ندرومة في تصميمها على الجامع الكبير كنواة ومركزٍ لها تتفرع منه باقي المجالات الدنياوية الأخرى،يرجع الفضل في التعرّف على تاريخ بناء هذا المعلم الأثري إلى رينيه بَاسِيRené Basset الذي اكتشف لوحة خشبية كانت جزءاً من منبر الجامع،شكلها عقد نصف دائري،تتألف من اثني عشرة سطر،يبلغ ارتفاعها 1متروعرضها 0.72م،تحتوي على التاريخ الإنشائي لمنبر الجامع الكبير بندرومة العتيقة،الأمر الذي دلَّ على أن الجامع هو من تشييد المرابطين،يُرجّح مكتشف اللوحة أنَّ المشيد هو السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين في الفترة التي أصبح فيها سلطانا فيما يقارب سنة 474هـ/1081م( )، لم يكن لذلك السلطان أن يؤسس بمدينة ندرومة مسجدا جامعا لولم تكن تتمتع بمؤهلات طبيعية تجارية وسياسية جعلتها تحظى بأهمية بالغة.

الشكل الخارجي الجامع الكبير مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب وهو مماثل في ملمحه العام للجامع الكبير بالجزائر العاصمة( )،يبلغ طوله 28.30م وعرض 20م،يحتوي بيت صلاته الذي يبلغ طوله 28.30م وعرضه9.70م على تسعة بلاطات عمودية على جدار القبلة يحملها صفان من الأعمدة تعلوها عقود حدوية( )،محراب الجامع خماسي الأضلاع عقده مفصص وهو الوحيد من هذا النوع بالجامع،يوجد عن يمينه المنبر وعن يساره على الرواق الثاني من المحراب غرفة تستعمل كمكتبة وأمام المحراب على البلاطة المركزية مساحة مشكلة بواسطة عقد أوسط وعقدين على شكل مربع من المحتمل أنها كانت مغطاة بقبة اندثرت في وقت لاحق،فيما يخص الصحن فيوجد به رواقين جانبِيين،أما أبواب الجامع فهي ثلاثة،الأولى على اليسار المحراب مقابل البلاطة ما قبل الأخيرة والثانية في الركن الشمالي الغربي،والثالثة بجانب المئذنة في الزاوية الشمالية الشرقية.

فيما يخص المئذنة تقع بالركن الشمالي الشرقي للجامع،وقد لاحظ رينيه باسي Basset René وجود لوحة تأسيسية على يمين مدخلها تتألف من ثمانية أسطر،تشير إلى تاريخ تأسيسها هذا ما كُتب عليها:بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

...وها الصامع أهل ندرومة بأموالهم وأنفسهم وكل احتساب لله وانبنت في خمسين يوم بناها محمد بن عبد الحق بن عبد الرحمن الشيصي في عام تسع وأربعين وسبعماية رحمهم الله أجمعين(6)،يوافق التاريخ الهجري المدون على اللوحة



سنة 1348م،ارتفاعها شاهق مقارنة بمآذن مساجد تلمسان،حيث يقدَّر بـ 24.04م،منها 19.80م للبدن الذي يزدان بزخارف هندسية على هيئة شبكة من المعينات والعقود المفصصة والمنكسرة،و4.24م للجوسق الذي جاء خال من أي زخرفة،ما عدا فتحة صغيرة مستطيلة تنتهي على شكل عقد حدوي عبر جهاته الأربعة،يتألف سُلَّمها من تسع وتسعين درجة(7)،ربما تعمّد المعماري إنجازه بهذا العدد تيمناً بأسماء الله الحسنى،ويبلغ طول ضلع قاعدتها 4.72م.

ب-مسجد القدَّارين:

عرف هذا المعلم الأثري باسم مسجد القدَّارين لأنه يوجد بالجهة الجنوبية الشرقية لمدينة ندرومة على مستوى حي القدَّارين الذي كانت تصنع فيه القدور(عبارة عن أواني كبيرة)،لذلك حمل المسجد نفس تسمية الحي،وهي الطريقة التي ألف على إتباعها في بعض المرات مخططوا المدن الإسلامية قديماً في تسمية الأحياء والدروب والمساجد وذلك وِفقاً للأعمال الحرفية التي كانت تقام على مستواه.

ذكر رينيه باسي René Basset أنَّ هذا المسجد أنشئ في فترة سابقة لفترة انجاز الجامع الكبير ربما إبّان حلول الأدارسة بأغادير(8)،لكن هناك من أرجع نشأته إلى الفترة المرابطية،إذ لو كان أول مسجد يختط بالمدينة لتَّم تشييده بمركزها كما كان معمولا به في تصاميم المدن الإسلامية العتيقة آنذاك كما أن تصميمه دعاماته ومقاساتها توحي بالبساطة التي كان يجسدها المرابطون في عمائرهم الدينية تماشياً مع المبدأ الذي قامت عليه دعوة عبد الله بن ياسين(9)،من هذا المنطلق يرجح بنائه في الفترة التي شهدت فيها المدينة اتساع خِطتها وازدياد عدد ساكنيها وضيق الجامع الكبير بالمصلين.(10)

شكله مستطيل تقريباً تمتد استطالته من الشمال نحو الجنوب،يبلغ طوله 13.15م،أما عرضه فيبلغ8م،يوجد ببيت صلاته أربعة أساكيب وثلاثة بلاطات عمودية على جدار القبلة،ينفتح مدخله الرئيسي بالجدار الغربي،بارتفاع يقدر بـ2.24م،وعرض يقدر بـ 1.45م، أوسطهم هي الأوسع،إذ يبلغ عرضها 3م في حين يقدر عرض البلاطتين المتبقيتين 2.90م،لقد فقد المحراب شكله الأصلي بعدما تم إعادة تهيئته بمواد بناء حديثة،يوجد عن يمينه فتحة مربعة غائرة يوضع



فيها المنبر،بالنسبة للدعامات فمنها ما توسط بيت الصلاة،ومنها ما يلتصق بالجدران،تعلوها أقواس على شكل حدوة الفرس يقدر عددها بإحدى عشرة قوسا،فيما يخص المئذنة فهي تتواجد بالزاوية الغربية للمسجد وهي لم تُذكر من قبل رينيه باسي Basset René عند حديثه عن المسجد،الأمر الذي يُرجح فرضية أنها أقيمت في وقت لاحق خاصة أنها تخلو من أي زخرفة ومبنية بمواد بناء حديثة السقف هو الآخر تم إعادة بنائه بمادة الآجر والحديد والإسمنت في حين يفترض أن يكون سطحه مسنماً ومصنوعاً بالخشب على غرار المساجد التي بنيت قديماً بالمغرب الإسلامي يرتفع السقف عن مستوى أرضية بيت الصلاة بـ4.35م.(11)

صُنِّف هذا المعلم الأثري كآثار وطني منذ سنة 1912م،وهو لا يزال يقدم دوره المتمثل في تأدية الصلوات الخمس إلى حدِّ الساعة.

ج-مسجد لالَّة الزهراء الشريفة:

سُمي هذا المسجد نسبة لمرأة تسمى بلالة الزهراء التي ذكررينيه باسيRené Basset أنها عاشت في مدينة ندرومة إبَّان الفترة الإدريسية(12)،لكن ليس هناك دليل ما يثبت صحة قوله،يوجد هذا المسجد بالجهة الجنوبية على مستوى حي بني زيد على مقربة من مسجد القدّارين السالف الذكر،لا يُعرف شيء عن تاريخ بنائه،إذ لم ترد أي إشارة في النصوص التاريخية حول ذلك،لكن هناك من يرجِّح تاريخ بنائه إلى نفس الفترة التي شُيد فيها مسجد القدّارين لتشابه العناصر المعمارية المتمثلة في الدعامات والعقود،وُظف هذا المسجد في وقت من الأوقات كمدرسة لحفظ القرآن الكريم،ثم مسجد للصلوات الخمس ليتم غلقه بعد ذلك مخافة أن ينهار على المصلين للضُّعف الذي اعترى مواد بنائه،والتلف الذي أصاب أجزائه،الملفت للانتباه أنه لم يتم تشييده كباقي مساجد المدينة فوق الأرضية إذ شيد في الطابق العلوي فوق الحانوت.(13)

يلي المدخل الرئيسي للمسجد الذي يقع بالجهة الغربية سُلّم يتكون من تسعة عشرة درجة يتم من خلاله الصعود إلى بيت الصلاة،مظهره الخارجي مستطيل،إذ يقدر طوله بـ9.49م وعرضه بـ8.55م يتكون بيت الصلاة من أسكوبين موازيين لجدار القبلة،كما يوجد به أيضاً خمسة دعامات تتشابه مع التي هي موجودة بالجامع الكبير ومسجد القدَّارين اثنتان منها توجد بالوسط واثنتان ملتصقتان بالحائط المتواجد على يمين ويسار جدار القبلة مع بروز



قليل،والدعامة المتبقية توجد بالحائط المقابل لجدار القبلة مع بروزها أيضاً عنه،أما العقود فقد جاءت خالية من أي زخرفة وعلى نوعين الأول على شكل حدوة الفرس والثاني نصف دائري منكسر يأخد مكانه في طرفي بيت الصلاة منكسر لصغر حجم بيت الصلاة حيث لا يسمح بانفراج العقد إلى أقصى حدٍ ممكن.

بوائك هذا المسجد جاءت موازية لجدار القبلة على عكس ما هو حاصل بمسجد القدَّارين الذي جاءت بوائكه موازية وعمودية على جدار القبلة،يلاحظ أن بيت الصلاة تميز بميزة خاصة تتمثل في علو السقف،إذ جاء منخفض مقارنة بسقوف بقية المساجد فارتفاعه،إذ لا يتجاوز2.70م ربما مرد ذلك لتواجد المسجد بالطابق العلوي،أما مئذنة المسجد فهي حديثة العهد مقارنة بفترة بناء المسجد ومواد بنائها وكذا زخرفتها ما يدل أنها بنيت في فترة متأخرة عن بناء المبنى ككل لعدم وجود التشابه.(14)

1-2 الأضرحة:

كانت مدينة ندرومة على غرار مدينة تلمسان محط اهتمام الفقهاء الذين فضلوها للعيش ونشر العلم،إذ لا تزال بعض أضرحتهم باقية على مرئً للعيان شاهدة على تفضيلهم الإقامة بالمدينة لكنها تبقى قليلة مقارنة بما هو موجود بمدينة تلمسان،كما أن المصادر التي تحدثت عنها هي الأخرى قليلة ناهيك عن بعض الإشارات التي وردت عن رينيه باسي 15(René Basset)،من أبرز تلك الأضرحة مايلي:

أ-ضريح سيدي أحمد البجائي:(16)

حسب الرواية التي ذكرها رينيه باسي عن حمزة بن رحال يوجد ضريح هذا الولي الصالح في المدخل الشمالي الشرقي لمدينة ندرومة،وأنه بني بعد الحادثة التي وقعت للسلطان عبد المؤمن بن علي في تجواله رفقة جيشه حينما استقر به الأمر بقرية عين كبيرة التي تبعد عن مدينة ندرومة بحوالي10كلم وهو في خيمته دخل عليه البجائي ليُعلمه أن هناك مؤامرة تدبر له من طرف بعض قادة جيشه،فقرر أن يبيت في خيمته مكانه،وفي الليل دخل المتآمرون الخيمة وضربوا بسيوفهم جسد البجائي ضانين أنه السلطان،صباحاً أخذوا يقتسمون نشوة الانتصار لكن باغتهم عبد المؤمن بن علي وقضى عليهم،ثم أمر بوضع جثة الولي الصالح سيدي أحمد البجائي فوق ظهر ناقة وعندما انتهى بها السير بالجهة الشمالية الشرقية لندرومة أمر ببناء ضريح له.(17)



إنَّ الرواية التي نقلها لنا رينيه باسي René Basset عن حمزة بن رحال حول وفاة الولي الصالح تختلف عما نقله لنا ابن زرع في مكان حدوثها،إذ أشار في مؤلفه الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس إلى أن سيدي أحمد البجائي عندما قدم من إفريقية إلى طنجة مروراً بوهران مع الجيش الموحدي من شهر ذي الحجة سنة 555هـ/1160م تفقدَّه عبد المؤمن بن علي فوجده مقتولاً بعد أن قرر المبيت في خبائه لإنقاذه من المؤامرة التي دبرت له(18)،كما يذكر أن السلطان أمر بوضع جثته فوق ظهر ناقة وبناء قبة ومسجد ملاصق لها أين توقفت الناقة وأمر أيضاً بناء مدينة البطحاء،علماً أنه ذكر أنها كانت تقع بالقرب من واد شلف(19)،وهناك من ذكر أنها تمركزت على الطريق المؤدي إلى الجزائر بواد مِنَى بالقرب من غليزان.(20)

ربما يُعزى هذا الاختلاف في سرد الحقائق التاريخية إلى طغيان الذاتية عن الموضوعية عند صاحب الخبر لتمجيد أصله وموطنه وهو ما يجعل الخبر المنقول إلينا محلّ شبهة،وقد تحدَّث عبد الرحمن بن خلدون عن التقديم الخاطئ للأخبار في فصل علم التاريخ بقوله:"...وكثيرا ما وقع للمؤرخين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أوسميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة....وتحكيم النَّظر والبصيرة في الأخبار...".(21)

على العموم يتميز الهيكل الخارجي للضريح المتواجد بمدينة ندرومة بشكله المربع،إذ يبلغ طول ضلعه5م،أما ارتفاعه فيبلغ 4م،بالنسبة للمدخل لم يتجاوز ارتفاعه المتر ونصف،يتوسط قاعة الضريح مقام الولي الصالح وهو عبارة عن صندوق خشبي ارتفاعه1.50م أما طوله فيبلغ 2م وعرضه 01م،مغطّى بقماش أخضر مكتوب عليه لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله،يعلو الضريح قبة كبيرة الحجم مقارنة بمساحته الاجمالية.

2- نبذة عن المعالم الأثرية المدنية الإسلامية بمدينة ندرومة العتيقة:

بعد أن أصبحت مدينة ندرومة دار سكنى واستقرار للناس الذين وفدوا للعيش فيها،ازدهرت فيها الحركة المعمارية التي جاءت كنتيجة حتمية لذلك الاجتماع البشري،الأمر الذي جعل نسيجها المعماري يكتسب طابعاً مدنياً لما أنشئ بها من مباني منها ما كان خاصاً كالمساكن وقصور السلاطين وعاماً كالحمامات...إلخ،وهي المباني التي اشتملت عليها المدينة لكونها كانت من الحواضر المرموقة آنذاك.



1-2 القصور:

القصر واحد من العمائر التي أخذت حيزاً في النسيج المعماري بالمدن العربية الإسلامية،ظهرت بعد الترف والبذخ اللذين وصلا إليهما المسلمون،مدينة ندرومة هي الأخرى عرفت وجود هذا النوع المعماري، وقد تمثل فيمايلي:

أ-قصر السلطان:

مدينة ندرومة واحدة من تلك المدن التي حظيت بهذا النوع من البصمات المعمارية نظرا لأهميتها السياسية،تشير الذاكرة الشعبية بمدينة ندرومة أن هذا المعلم الأثري بني في فترة حكم السلطان الموحدي عبد المؤمن بن علي التي بدأت في سنة 526هـ/1131م وانتهت في سنة 558هـ/1163م(22)،وقد اختار له مكانا بالجهة الجنوبية من المدينة العتيقة ليضمن له أكبر قدر من العلو والارتفاع الذي يحقق له جواً مناسبا للإقامة والاسترخاء بإطلاله على المدينة ككل،فطبوغرافية المدينة الممتدة على طول سفح جبل فلاوسن اضطرته إلى ذلك،ولازالت البعض من جدران هذا المعلم الأثري باقية لحدِّ الساعة،وقد حظي بعملية ترميم أعادت له بعضا من بريق ماضيه وهو مصنف كمعلم أثري وطني منذ 18سبتمبر1912م.(23)

2-2 المساكن:

لا يقتصر مفهوم المسكن في كونه مجرد قشرة جوفاء تتضمن تشكيلاً معمارياً خاصاً،بل هو أبعد من ذلك،حيث يعتبر أهم أداة حضارية ساعدت الإنسان على المضي قُدُماً في مراتب الحضارة(24)،وقد شكَّل المسكن بمدينة ندرومة أهم وحدة معمارية بنسيجها المعماري،حيث توزعت بجميع أحيائها السكنية،لقد حرص المعماري المسلم في تصميمه له تحصيل أكبر قدر من الأمن والراحة والحرمة والألفة بين الأسرة نفسها وبين الجيران مع بعضهم البعض،مستعملاً ما تَوفَّر في البيئة التي تحيط به من مواد وما تجمَّع له من خبرات،من ضمن تلك المساكن مايلي:

أ-دار القاضي:



سميت كذلك نسبة للقاضي الذي عُين من طرف الأمير عبد القادر على مدينة ندرومة،بنيت له هذه الدار ليقيم بالمدينة ويكون مطلعا على أحوال سكانها،تقع جنوب المدينة على مستوى حي بني زيد،مدخلها مفتوح بالواجهة الشمالية يعلوه عقد حدوي،يبلغ ارتفاعه 4.5م وعرضه 2م بابه حديدي ربما يرجع إلى الحقبة الاستعمارية،تليه السقيفة التي يوجد على يسارها المرحاض،تفضي مباشرة إلى فناء شكله مستطيل يقدر طوله ب10م وعرضه ب7م،وتحيط به أربعة غرف على يساره توجد غرفة مستطيلة يُرجح أنها استعملت لاستقبال الضيوف تبلغ مساحتها حوالي50م^2،الغرفتان المتبقيتان واحدة تقع في الزاوية الجنوبية شكلها مربع طول ضلعها 6م،بها نافذة خشبية تطل على الرواق،والأخرى

في الزاوية الشمالية،أما الغرفة الرابعة فتعتبر أكبر الغرف طولها يقدر ب10م وعرضها 6م،مساحتها 60م^2 لها مدخل في الزاوية اليمنى ونافذة تطل على الفناء،فيما يخص المطبخ فهو الأصغر مساحة شكله مستطيل يقدر طوله ب6م وعرضه 4م لا يحتوي على نافذة إنما فقط على ثقبين يوجدان في أعلى زاويته اليسرى،بالنسبة للطابق العلوي فقد كان مخصصاً للأبناء الذين يستقرون به بعد أن يتزوجوا،يتم الوصول إليهم عبر السلم الذي ينطلق مباشرة من فناء الدار.(25)

ب–مسكن الزرهوني:

يقع هذا المسكن بالجهة الجنوبية الشرقية من حي الخربة بين عدد من المساكن،رغم ما أصابه من تلف إلاَّ أنه لا يزال يؤدي وظيفة السكن،فيما يخص تاريخ بنائه هناك من يرجِّح أنه يعود للفترة المرابطية للبساطة التي تميزه ومواد البناء المستعملة فيه كمادة الطابية التي اشتهر استخدامها عند المرابطين لاسيما في المباني المدنية ولو بصورة أقل(26)،واجهته الخارجية خالية من أي زخرفة كما لا توجد بها فتحات حفاظاً على حرمة ساكنيه،يتألف المسكن من طابقين،يتم الولوج إلى الطابق الأرضي عبر مدخل يبلغ ارتفاعه 1.93م وعرضه1.37م،نصل عبر السقيفة إلى فناءٍ ذي تصميم مستطيل الشكل طوله 11.60م وعرضه 6.50م،أرضيته مبلطة بالحجارة،يحيط به من جهاته الأربعة رواق لم تتبق منه إلاَّ الأعمدة التي كانت تحمل سقف ذلك الرواق بواسطة بائكة،وتحيط به من جهاته الثلاث أربع غرف،اثنتان متواجدتان بجداره الجنوبي بينهما مرحاض،الأولى طولها يقدرب7.50م وعرضها 1.95م بها نافذة تطل نحو الفناء ارتفاعها 1.20م وعرضها 0.70م وهي تعد أكبر الغرف بهذا المسكن،يُرجح أنها خصصت لاستقبال الضيوف،أما الثانية طولها يقدر ب4.70م وعرضها يقدر ب2.10م،فيما يخص الغرفتين المتبقيتين،أي الثالثة والرابعة توجدان بالجدار الشرقي



للمسكن،شكل الغرفة الثالثة أقرب إلى المربع،إذ يبلغ طولها 2.55م وعرضها 2.32م،أما الغرفة الرابعة فشكلها مستطيل إذ يبلغ طولها 4.35م وعرضها 2.32م،أما بالنسبة للطابق العلوي فقد تهدَّم ولم يتبق منه إلاَّ السُلَّم الذي تضررت منه هو الآخر غالبية أجزائه،الملاحظ في هذا المسكن وجود غرفة أخرى على يمين المدخل الرئيسي مباشرة استخدمت كإصطبل يبلغ طولها 6.70م وعرضه2م،لقد أختير للإصطبل مكان بحيث يمنع تعرض قاطني المسكن لأي ضرر من رائحة أوضوضاء وهو الآخر قد تهدم سقفه،لأصحاب المسكن،ولم تتبق منه إلاَّ الأسوار.(27)

3-2 الحمامات:

بعدما انتقلت عمارة الحمّام إلى الحضارة الإسلامية بفعل الحركة التجارية والفتوحات الإسلامية مع بقية الحضارات العريقة السابقة أصبحت منشأة معمارية مهمة في العمارة ومتداولة في جميع المدن الإسلامية،إذ لا نكاد نجد مدينة إلاَّ وقد خصصت مجالاً لبناء الحمام (28)،وكمثال عن هذا النوع المعماري بمدينة ندرومة نذكر:

أ-الحمام البالي:

أَوْلَى سكان مدينة ندرومة اهتماماً بالغاً لبناء الحمامات،حتى يتقربوا من الله عزّ وجل لدوره البالغ

في طهارة البدن التي هي شرط لازم لأداء الصلوات الخمس،فشيدوا حماما ملاصقاً للجامع الكبير يطلق عليه اسم الحمام البالي،وهذا الحمام يدخل ضمن المرافق العامة بنسيجها العمراني.

يُعتبر من أقدم الحمامات في بلاد المغرب الإسلامي،هناك بعض الدارسين من أرجعوا بنائه إلى الفترة المرابطية لتشابه تصميمه الداخلي مع تصاميم حمامات المرابطين بالمغرب الأقصى رغم التعديلات التي لحقت به،ضف إلى ذلك قربه من الجامع الكبير يرجح الفرضية السالفة الذكر(29)،يتمركز بوسط المدينة العتيقة خلف الجامع الكبير بحي التربيعة تقدر مساحته بـ 162م2،شكله الخارجي مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب(30)،مدخله ذو باب خشبي ينفتح بالجهة الشمالية يبلغ ارتفاعه حوالي1.80م وعرضه 1.10م يعلوه عقد حدوي تستند عليه ظلة منجزة من مادتي القرميد والخشب،مستوى أرضيته منخفض عن مستوى أرضية الساحة الخارجية إذ يتم النزول إليه بدرج ينحدر نحو الأسفل بستة درجات،يلي مدخله مباشرة قاعة الاستراحة أوالقاعة الباردة Frigidarium أقرب إلى المستطيل يقدر طولها



ب7.70م وعرضها 6.79م بها عقدين حدويين يستندان على عمودين مصنوعين من مادة الرخام البني اللون يبلغ ارتفاعهما1.80م،غطيت هذه القاعة بقبو نصف برميلي به فتحات للإضاءة على يمينها توجد القاعة الدافئةTepidarium شكلها مستطيل تقريباً حيث يقدر طولها ب7.28م وعرضها ب6.33م،تعتبر القاعة الأكثر اتساعاً في الحمام لكي لا يحس المستحم بالضيق تعلوها أربعة أقبية نصف برميلية وقبة في الوسط بها فتحات زجاجية لإضاءة القاعة،تتوسطها أربعة أعمدة من الرخام يبلغ ارتفاعها هي الأخرى 1.80م تحمل عقود حدوية،تتوزع من حولها دكّات حجرية لجلوس المستحمين بعد الخروج من القاعة الساخنةCaldarium،توجد هذه الأخيرة جنوب القاعة السالفة الذكر يوجد بها حُجرة صغيرة على يسارها يقدر طولها 4.14م وعرضها 1.98م تستعمل لاغتسال الشخصيات على انفراد مدخلها يعلوه عقد حدوي،تحدَّث عن مثل هذه الحجرات الحسن بن محمد الوزان في وصفه لحمامات مدينة فاس قائلا:"...ينفردون في حُجَرٍ خاصة مزخرفة يحتفظ بها في حالة نظافة جيدة لاستقبال الشخصيات السامية...".(31)

أما الغرفة المتبقية في القاعة الساخنة فيقدر طولها 5.79م وعرضها 3.71م،بها حوضين واحد للماء البارد والآخر للساخن ودكّات حجرية لجلوس عليها أثناء الاستحمام أما فرن الحمام فيوجد أسفل القاعة الساخنة يتم النزول إليه بدرج يتكون من 13درجة به موقد يعلوه قدر يستعمل الحطب في إيقاده،يُزود بالماء عبر أنبوب يأتيه من البئر مباشرة،وتتفرع منه أنابيب فخارية تحت أرضية الحمام(32)،حظي الحمام البالي بعملية ترميم سنة2003،ليفتح أبوابه بعد ذلك ويدمج في الحياة اليومية للمواطن الندرومي،لازال محافظا على الطراز المعماري للحمامات العربية الإسلامية.

3- نبذة عن المعالم الأثرية العسكرية الإسلامية بمدينة ندرومة العتيقة:

تقع مدينة ندرومة بمكان أشبه أن يكون حصنا طبيعيا ساعدها في تكوين كيان حضاري وجعلها في منئً عن الأخطار التي تحدق بها من كل جانب،فمتى توفر الأمان ازدهرت الحياة الحضرية ونمت لم تترك المدينة محمية بموقعها فقط بل عمد مخططوها على إنشاء عمارة عسكرية لتعزيز تحصينها الطبيعي والوقوف ضد الاعتداءات خاصة وأنها كانت قريبة من الساحل من جهة الشمال،وفي أيام الصراع الزياني المريني أصابها ما أصاب مدينة تلمسان،إذ كانت تتعرض هي الأولى لضراباتهم،ذكر أبي الحسن بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي أنها حوصرت من قِبل أبي يعقوب يوسف في المرة الثانية التي



أراد فيها احتلال تلمسان،إلاَّ أنه لم يستطع اقتحامها وأفِل راجعاً إلى مملكته(33)،الأمر الذي يدل أنها كانت على درجة كبيرة من التحصين لأهميتها لدى السلاطين،وقد تمثلت أهم عمائرها الدفاعية فيما يلي:

3-1 الأسوار:

تعتبر الأسوار الأسلوب الأنجع في تحقيق عامل الأمن بالمدن العتيقة،لذلك لا نجد مدينة من المدن تخلو من هذا النوع العمائري حيث يذكر الإدريسي مدينة ندرومة قائلا:"...مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سور..."(34)،الأمر الذي يدل أن مخططيها لم يغفلوا هذا النوع المعماري،فقد اعتبروه ضرورة ملحة ولبنة أساسية لبناء حاضرة قوية،جاء تشييد تلك الأسوار مماثلا في بنائه لأغلب أسوار المدن المغرب الإسلامي حيث استعملت في بناءه مادة الطابية التي تعتبر أكثر المواد استعمالاً في هذا النوع من البناء،نظراً لوفرة موادها الأولية في الطبيعة،وكذا لمقاومتها عائدات الزمن سواءاً كانت عوامل بشرية كالحروب أم طبيعية كالحرارة والأمطار.

أغلب بقايا الأسوار نجدها في الجهة الجنوبية للمدينة العتيقة يبلغ سمكها 1.5م وارتفاعها حوالي5م وقد امتدت على طول قدره 30م،تتوجها شرافات ارتفاعها 0.84م وعرضها 0.50م،وتنفصل عن بعضها البعض بمسافة قدرها 0.70م تعد كفتحات لرمي السهام وصب الزيت الحارق على العدو،إذا ما أراد تسلق الأسوار،وتجدر الإشارة أن هذا الجزء المتبقي من السور الدِّفاعي قد حظيت بعملية الترميم سنة2003.(35)

بالنسبة للجهة الشمالية والشرقية لم يتبق فيهما أية بقايا،أما الجهة الغربية فقد بقيت آثار السور على مرئً للعيان لوجودها في مكان صعب الوصول إليه،لأنه بني محاذياً للوادي الموجود بتلك الجهة خاصة أن طبوغرافية تلك الجهة شديدة الانحدار،مما حال دون المقدرة إلى الوصول إليه وأخذ القياسات.

3-2 الأبراج:

تنقسم إلى قسمين الأول يكون منفصلاً عن الأسوار كنقطة مراقبة متقدمة عن الحيز المعماري للمدينة،والثاني متصل مع الأسوار كما هو الشأن بالنسبة للبرج الموجود بالجزء الجنوبي لسور مدينة ندرومة،فإضافة لدوره الدِّفاعي



يمكن من خلاله مراقبة ورصد تحركات العدو،وهو يعتبر البرج الوحيد المتبقي بالمدينة،يقدر ارتفاعه ب5.40م وبروزه عن جدار السور ب4.10م،أما طوله 5م.

3-3 الأبواب:

تحمل مدينة ندرومة العتيقة بين دروبها وأزقتها صفات المدن العتيقة بالمغرب الإسلامي،حيث نجدها تكتسي بطابع عمراني متناسق،يظهر جليا في كيفية تنظيم نسيجها العمراني وتنظيم استعمالا لأراضي واحتوائها على الأبواب،لقد تميزت غالبية الحواضر الإسلامية باحتواء تصميمها على أربعة أبواب،وهي الميزة نفسها التي وجدت بالمدينة،إذ تتوزع بها أربعة أبوابرمنها ما اندثر ومنها ما لايزال موجوداً كالآتي:

أ-باب المدينة:يوجد بالجهة الشمالية،تعرض لعدّة تعديلات مسَّت شكله الخارجي ومواد بنائه،فقد قُلص من ارتفاعه،وغُيِّرت مواد بنائه الأصلية واستخلفت بمواد بناء جديدة تتمثل أساساً في الإسمنت.(أنظر الصورة رقم11)

ب-باب القصبة:يوجد جنوب المدينة،لقد حظي بعملية ترميم أبقت به جزءاً من شكله الأصلي.(36) (أنظر الصورة رقم12)

ج-باب الفراقي:يقع في الجهة الشرقية،ربما سمي بذلك الاسم لوجوده بمفترق الطرق التي تتجه نحو الشرق (عين كبيرة) والشمال(الغزوات) والجنوب(مغنية)، لم تتبق معالمه فقد اندثر كلياً.

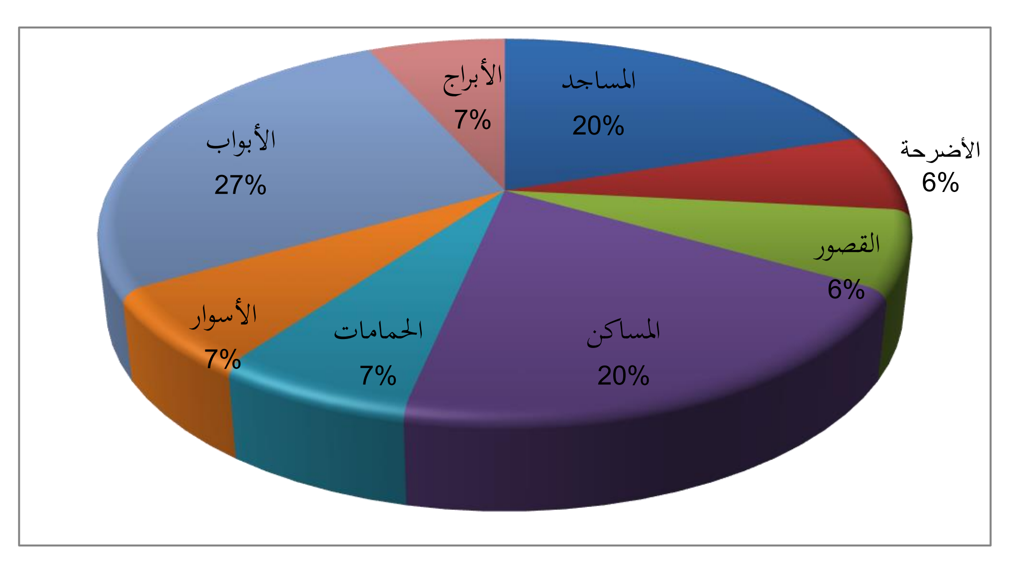
د-باب تازا(37):يقع هذا الأخير بالناحية الغربية للمدينة العتيقة،سمي كذلك لأنه انفتح على الطرق المؤدية لمدينة تازا(38)،لقد تهدَّم هذا الباب ولم تتبق معالمه هو الآخر على مرئً من العين.

تعكس المعالم الأثرية التي تقدَّم الحديث عنها جزءاً لا يتجزأ من التراث المادي لمدينة ندرومة ينقسم في مجمله إلى ثلاثة أقسام منه ما هو ديني ومدني وعسكري ،وهي الأنواع التي رافقت العمارة الإسلامية بالمدن الإسلامية العتيقة سواءً بالمشرق أوالمغرب الإسلامي،ما يلاحظ في الموروث التاريخي لمدينة ندرومة خلُوه من المواقع الأثرية،إذ من خلال معاينتنا للمدينة ومحيطها لم نصادف وجود مساحات تتضمن بقايا أثرية ثابتة أومنقولة ربما يعزى ذلك لكون مدينة



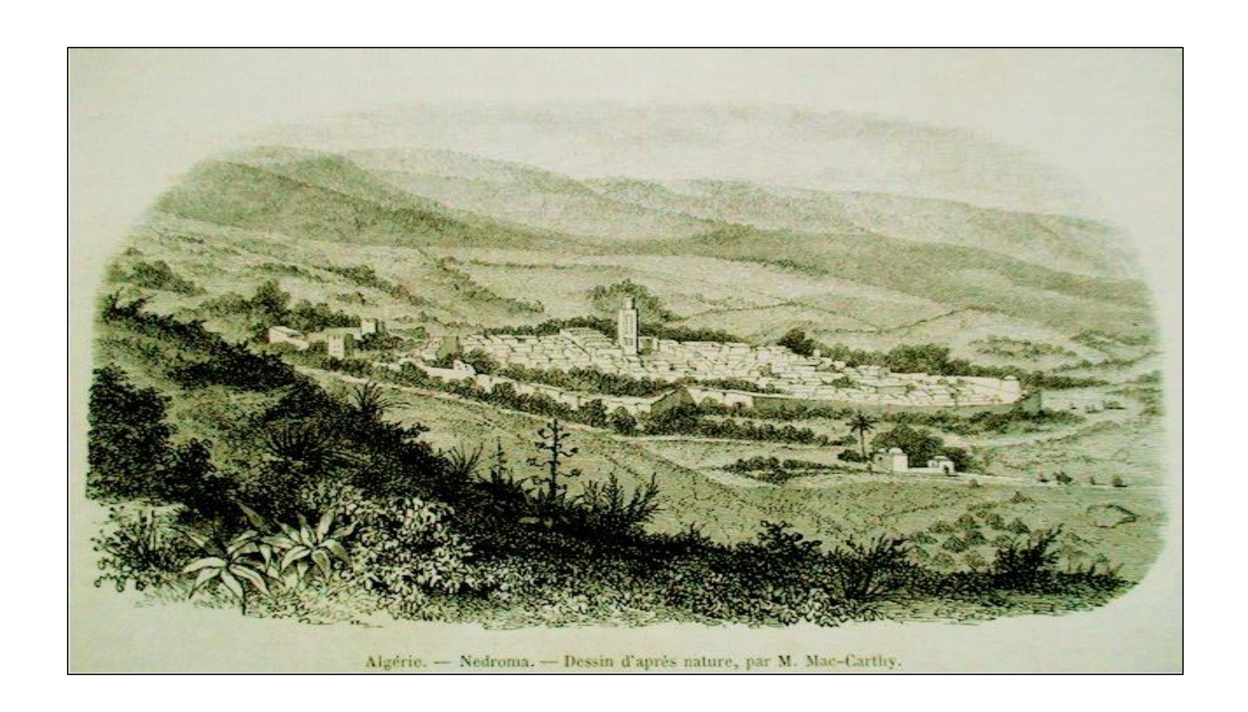
ندرومة لم تكن بحجم المدن الكبرى التي انتشر عمرانها وكثر معمارها أواستقر بها الرومان كمدينة تلمسان أوتغيرات نواتها الحضرية من مكان إلى مكان آخر.

ونقدّم ما ورد ذكره في الدائرة النسبية الآتية:



الدائرة النسبية رقم 01:تبين نسب المعالم الأثرية بمدينة ندرومة وفق العينات المختارة للدراسة.




Algérie. — Nedroma. — Dessin d'après nature, par M. Mac-Carthy.

1–قائمة المصادر:

-الحسن بن محمد الوزان الفاسي،وصف إفريقية،ط2،ج 2،ترجمة محمد حجي،ومحمدالأخضر،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1983.

-أبو بكر الصنهاجي البيذق،المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب،تحقيق عبد الوهاب بن منصور،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1971.

-أبي الحسن بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،الرباط،1972.

-عبد الرحمن بن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،تحقيق سهيل زكار، ج07،دار الفكر، بيروت،2000.

-أبو عبد الله محمد بن إدريس الحسني الشريف الإدريسي،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مج02،ج01،مكتبة الثقافة دينية،القاهرة، 2002.

2– قائمة المراجع:

أ–باللغة العربية:

-محمد بن عمرو الطمار،تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.

-محمد رابح فيسة،المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة،دراسة تاريخية أثرية،رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية،معهد علم الآثار،جامعة الجزائر،2005.

-علي محمد الصلابي،تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي،ط02،دار المعرفة بيروت،2009.

-بريشي درويش،تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان،دراسة فنية أثرية،رسالة ماجستير،تخصص فنون شعبية،قسم الثقافة الشعبية،2012.

– مصطفى مروان، دراسة المعالم الأثرية في مدينة ندرومة،رسالة ماجستير،تخصص فنون شعبية،قسم الثقافة الشعبية،جامعة تلمسان،2005.

-عطى الله دهينة، تاريخ الجزائر في العصر الإسلامي،ج 3،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.

-عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000 مدينة إسلامية،ط1،مكتبة الاسكندرية ،مصر،2000

ب–باللغة الفرنسية:

-René Basset,Nedromah et Les Traras,Ernest Leroux Editeur,Paris,1901



-Georges Marçais ,l'Architecture Musulmane d'Occident ,Tunisie Algérie, Maroc Espagne ,Sicile ,Arts et Metiers Graphiques, France,1954.

-Rachid Bourouiba,L'art Religieux Musulman En Algérie,2emmeédition, SNED,Algérie,1983.

